

التواصل اللغوي، والتواصل البيداغوجي: الشفاهي والمرئي

أ. محمد بن هندا

جامعة الجزائر 02

ملخص

ترتكز ممارسات التعليم والتعلم أساساً على تنشيط فعل التواصل. مع العلم أنّ تلکم الممارسات مؤسسة على تملك المعارف والتزود بها وتبادلها في الصفوف المدرسية. وكذلك تشكّل مقاماً للتفاعلات المتبادلة بين شركاء التخاطب والتي تستشف تأثيراتها الضمنية عن وظائف مهم استكشافها من خلال هذا المقال الذي يتناول كيفية تحليل الظواهر الناجمة عن الدينامية التواصلية للفعل البيداغوجي، وذلك بهدف الإحاطة بأشكال سيرورات العلاقة بين المتواصلين عبر المعلمات الآتية:

1. التواصل بين المعلم والمتعلم: انطلاقاً من مسلمة مؤداها أنّ المتعلم هو من ينشّط فعل التواصل البيداغوجي.
 2. التواصل بين المتعلم والمعلم: انطلاقاً من مسلمة مفادها أنّ المتعلم هو محور فعل التواصل البيداغوجي.
 3. التواصل بين المتعلمين أنفسهم: انطلاقاً من مسلمة انعدام مركزية من يدير فعل التواصل البيداغوجي.
- توحي هذه المسلمات جميعاً بنماذج تعليمية تحدد شكل التواصل البيداغوجي الشفاهي والمرئي باختلاف نماذج التعليم السائدة.

Résumé

Les pratiques de l'enseignement – apprentissage sont centrées essentiellement sur la communication. Sachant que lesdites pratiques se fondent sur l'appropriation des connaissances et leur échange dans les classes. Elles forment également le croisement des interactions entre les partenaires participant à cet échange dont les influences intrinsèques se révèlent fonctionnels. D'où l'intérêt porté par le présent article à l'analyse de la dynamique communicative dans l'acte pédagogique afin d'en dégager les formes des rapports qui gèrent tout acte pédagogique à travers les paramètres suivant :

1. Acte communicatif liant l'enseignant à l'apprenant : envisagé du postulat qui présuppose la primauté de l'enseignant et son initiative à actionner l'acte de communication.
2. Acte communicatif liant l'apprenant à l'enseignant : distinguant le rôle de l'apprenant en tant qu'axe vitale dans l'activation des pratiques communicatives.
3. Acte communicatif liant les apprenants : niant la polarité de quiconque étant habilité à gérer les pratiques communicatives.

Cette répartition de postulat inspire à modeler l'acte de l'enseignement – apprentissage et circonscrire les formes de la communication pédagogique, orale et audio-visuelle dans la diversité des type d'enseignement qui règnent de nos jours.

التواصل اللغوي: مفهومه، أنواعه، نماذجه، مستوياته اللغوية مفهوم التواصل:

التواصل لغة هو الإبلاغ والاطلاع، والإخبار، أي نقل "خبر ما" من شخص لآخر، وإخباره به، واطلاعه عليه، جاء في لسان العرب بصدد كلمة وصل ما يلي:
وصل الشيء إلى الشيء، وصولاً، وتوصل إليه: انتهى إليه وبلغه... ووصل الشيء بالشيء، أي يصله وصلاً وصلة وصلته... الوصل خلاف الفصل¹... وهذا معناه أن فعلي وصل وأوصل يفيدان وجود علاقة توصيل أو ربط.

وتشير الكلمة الفرنسية COMMUNICATION في الوقت نفسه إلى معاني متعددة ومتداخلة، فهي تعني حدثي التواصل والتوصيل أي إقامة علاقة مع شخص ما، أو شيء ما، كما تشير إلى فعل التوصيل والتبليغ أي توصيل شيء ما، وإلى نتيجة ذلك الفعل، كما تدل على الشيء الذي يتم تبليغه، والوسائل التقنية بفضلها² أن هذه المعاني التي تدل عليها كلمة التواصل تتضمن بدورها معنى الارتباط أي تؤكد وجود علاقة بين شخصين، أو بين شخص وشيء.

والحقيقة أن تعريف التواصل أمر شائك للغاية، والسبب في ذلك هو الاهتمام الكبير الذي أصبحت توليه العديد من حقول المعرفة الإنسانية لدراسته والبحث فيه (الرياضيات، علوم الطبيعة، العلوم الإنسانية) وهذان نتج عنه اختلاف في تحدياته،

¹-ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر، المجلد: 11 ص726، وأيضا المعجم الوسيط ص1049.

²- PETIT ROBERT. P : 11-

وتنوع في تصوّراته، ومقارباته، وتعدّد في نماذجها النظرية. في هذا الصدد يشير طلعت منصور إلى أن هناك خمسا وعشرين تصوّراً مختلفاً لمصطلح اتصال يجري استخدامه في البحث... وقد ظهر فيما نشر من كتب ودراسات خمسون وصفاً للعملية الاتصالية... ومنذ أن نشر شانون وويفر (1949) نموذجهما الرياضي عن الاتصال، ظهر أكثر من خمسة عشر نموذجاً مختلفاً في تفسير الاتصال.¹

ومهما يكن من أمر، وبما أن غرضنا الأساسي هنا هو بحث التواصل باعتباره علاقة فيما مكاننا تجاوز تلك الخلافات والاختلافات - في تعريف التواصل - والقول إن التواصل في معناه الأكثر عمومية هو فعل نقل معلومات من مرسل إلى متلقي بواسطة قناة بحيث يستلزم ذلك النقل من جهة وجود شفرة، ومن جهة ثانية تحقق عمليتين اثنتين: ترميز المعلومات ENCODAGE مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار طبيعة التفاعلات التي تحدث أثناء التواصل، وكذا أشكال الاستجابة للرسالة والسياق الذي يحدث فيه التواصل»².

التواصل وملكة اللغة:

من أجل أن نتواصل يستعمل الفرد منا - أساساً - ملكته اللغوية. لنحاول أن نضبط ما نعنيه من "تواصل خيرا بواسطة الملكة اللغوية" قد لا يكون دائما فعلا إراديا، ونعني بذلك أن بعض الكلمات تفلت منا، وقد نحدث أنفسنا، وقد نترنم، وقد نتعبد... الخ. كما أن فعلنا - هذا - لا يكون دائما إيجابيا، وفي بعض الأحيان غامضا وعبثا وخاطئا مثل ما يحدث في حالات الغلط والكذب.

لنقل أن الكلام البشري هو نسق التواصل الأكثر غني، والأكثر مرونة - فيما نعلم - وهو أرق الأنظمة* على الإطلاق.

إن هذه الملكة خاضعة لقدرة لدينا ليست بحوزة الكائنات الأخرى، إننا نوظفها من أجل البيان والتعبير، قال تعالى: ﴿ خلق الإنسان علمه البيان ﴾³

¹ - طلعت منصور: سيكولوجية الاتصال، عالم الفكر، المجلد 11 ج: 2، 1998 ص 104.

² - طلعت منصور: المرجع نفسه ص 108.

^{*} - الأنظمة جمع نظام وهو نسق من العلامات نستعملها من أجل التواصل.

³ - سورة الرحمن، الآية: 2.

ان الكلام البشري هو إقرار بوجود ملكة اللغة، فهو ظاهرة ثقافية تتعدد وتختلف من أمة لأخرى، فاللغة التي نستعملها ليست نظرية بل هي مكتسبة¹ خاضعة للاجتماع، إنها لغة خاصة بحضارة بعينها تنتسب إليها فهي ليست عامة، ولا طبيعية.

إن تنوع الثقافات واللغات يبين لنا أن اللغة نسق متفق عليه لذلك نجد لغات وليست لغة واحدة فقط، إنها تشكل في فكر الإنسان تمثيلاً للعالم المحيط به، وتمثيلاً له بدوره بتلك العلامات لكن تبعثُ مرحلة ابتكار اللغة مرحلة التواصل التي صارت معها اللغة أداة يستعملها الإنسان على مر الأزمان.

إنّ التواصل الموجود عند البشر، أبيضهم، وأسودهم، أحمرهم، وأصفرهم من أجل إقامة علاقة تربط الفرد مع بني جنسه، فبالتواصل مع أنفسنا نستعمل ثاني أكسيد الكربون الذي ننفثه من أفواهنا لنصدر به أصواتنا على إيقاعات مخارج جهازنا الصوتي الذي تحاكيه آلة النضج الموسيقية. إن هذه الإفرازات يحكمها دماغ أمر ينتج الملفوظات اللغوية التي تتشكل في اللغات المتداولة على أوسع نطاق في رحاب كثيرة من المعمورة² قد تتقاطع الأمم في اختيار الأصوات المعبرة، وقد تختلف، قد تأخذ الكثير منها، وقد تدع الكثير، لكنها أجمعت بالصدفة على استغلال الملكة التي أتاها الله إياها لتظهر في شكل لغات ولهجات، وأصغر من ذلك وأكبر ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾³

ومنذ الزمن الغابر إلى يومنا هذا واللغة لازالت متداولة، وقد تتسع رحاب الناطقين بها، وقد تضيق، وقد تتفرع، وقد تتقلص، وقد تحيا وقد تموت، وقد تحدث العكس مثل ما حدث للعبرية، وقد تندثر إلى غير رجعة مثل ما حدث للاتينية وغيرها. وباعتبار أن اللغة تشكل هوية الإنسان الثقافية وخصوصيته الجنسيّة، تعيش بحياة قومها وتموت بموتهم، وبما أنها سلوك نلقنه في تواصل مستمر للأجيال ونمرر به الرسائل العلميّة والمعرفية والدينية والخلقية، ولكن الإنسان منذ البدء لاحظ أن الكلام لا يدوم لفترة أطول، وقد يندثر بذهاب حامله، ففكر في ما يخلد ذكره، ويفيد غيره فلجأ إلى الكتابة،

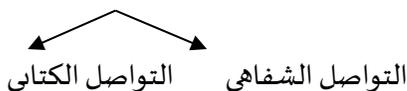
¹-نور الدين رايس: سر التواصل التعبير الشفاهي والتعبير الكتابي ص91.

²-نور الدين رايس: سر التواصل: التعبير الشفاهي والتعبير الكتابي، القادسية، فاس المغرب، ط الأولى: 2013 ص92.

³-سورة الروم الآية: 21.

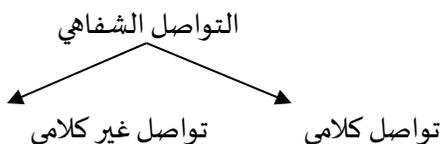
لذلك نجد «أن الكلام أقوى هدراً، والكتابة أبقى نظراً» ومن ثمة نجد أن التواصل اللغوي تفرع إلى شق كتابي أيضاً.

التواصل اللغوي



إن الملفوظ الشفاهي أقدم من الرسائل المكتوبة، وإلى غاية عصرنا الحاضر لازالت بعض الأمم لم تدون رسائلها الشفاهية. علاوة على ذلك تنتج الأمم التي عرفت الكتابة الكلام الملفوظ أكثر مما تنتجه صنوه المكتوب.

لذلك فإن التواصل الشفاهي ينشطر بدوره إلى تواصل كلامي وغير كلامي ويشار إليه باختزال في اللغة الفرنسية بـ: C.V / C.N.V ، ورسم بيانه كما يلي:



أنواع التواصل:¹

1-التواصل الكلامي:

التواصل لا بد أن يخضع فيه المرسل والمستقبل وبصيغة أخص المتكلم والمستمع إلى قواعد استعمال النظام اللغوي المتداول بينهما وأنداك يتم احترام قواعد المستويات الأربع:

- الصوتية
- الصرفية
- التركيبية
- الدلالية

وهذا ما تلقنه المتعلم طوال حياته الدراسية منذ البدء وتلقنه العامي في حياته وسلوكه اللغوي الموروث له عبر الزمن دون أن يشعر به، فإذا خرج عن هذه القواعد التي

¹ نور الدين رايس: سر التواصل: المرجع نفسه ص93.

تنتمي إلى المستويات الأربع، فإن في المجتمع سلطة ترده إلى الصواب بقولها له: "قل ولا تقل" *dire et ne pas dire*.

ولذلك ترانا نحترم القاعدة المشار إليها في قضية التقابل اللغوي بين المرسل والمستقبل

– وهي ما نرسي عليه تواصلنا الناجح- وهي ما يدعى بالفرنسية بـ: *La symétrie* ورغم ما يظهر من بساطة مفهومها – أي هي من تحصيل حاصل- فإنها ذات أهمية بالغة، ويظهر ذلك في التواصل المتعالي مثلا، حيث أشار الحق سبحانه في قوله: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾¹ ليبرز أهميتها في الاستدلال والإقناع. ومن ثم نعلم أن النظام اللغوي المتداول بين المتكلم والمستمع يبني على التقابل والاشترك في معرفة مستوياته اللغوية إن بالتلقين اللغوي الشفاهي أو بطريقة أخرى.

ومن المسلم به أن التقابل في معرفة المرسل والمستقبل بنظام العلامات المستعمل سند قوي لنجاح فعل التواصل، وبأملنا في مفهوم التقابل نجد أنه يظهر في حالة التواصل الكلامي في قدرة المتكلم على صياغة رسالته تبعا لما اكتسبه من سلوك لغوي أخذه عن آبائه وأجداده وممن هم حوله – إن كان متكلما أصيلا في لغة ما- وقد يكون أخذه بالتعلم انطلاقا من الكتابة أو التلقين الشفاهي وأمثال ذلك ما تعلمناه من أحرف طوال حياتنا الدراسية، «فتبدأ بالمستوى الصوتي فتتعلم ألفباء ويرافقها تعلم كتابتها»². ثم نتعلم المستوى الصرفي فنصوغ على نحو ما قاله المعلم، ونحترم البنيات الصرفية التي توظف فيها تلك الأصوات المستعملة في المستوى الصوتي، وإن استعملنا أصواتا مخالفة لما هو مستعمل في تلك اللغة رددنا إليه بطريقة: هذا صواب وهذا خطأ وما إلى ذلك، حتى إنك إذا أردت إقحام لفظ دخيل فإنك تخضعه إلى البنيات الصرفية علاوة على استعمالك للأصوات المتداولة في لغتك مثل قولك: "لبابو" في الدارجة المغربية في مقابل *lavabo* الفرنسية.

إنك تحترم وتقيس على نحو ما تعلمته من بنيات صرفية فتنشئ على شاكلة ما تلقنته في هذا المستوى ألفاظا تحافظ فيها في الأصل أو الجذر، وتضيف إليه سوابق ولواحق وحشوا وقد تحذف وقد تغير بنية الكلمة بالمطلق، وقد تكرر ما حفظته سمعا بدون إعمال فكر.

¹-سورة إبراهيم الآية:5.

²-عبد الكريم غريب: التواصل والتنشيط، منشورات عالم التربية ط1، 2008، الدار البيضاء ص110.

أما في المستوى التركيبي الذي يستند إلى ما سبق من مستويات فإنه لابد من أن تراعي بنية الجمل المستعملة في اللغة التي تنطق بها حتى يتم صياغة رسالتك على نحو ما سمعته أو اعتدته أو حفظته مراعيًا قواعد تركيب هذه الجمل.

فلا تستطيع في جمل عربية -مثلا- أن تضم فئة الأفعال إلى بعضها في سلسلة لا متناهية دون استحضار فاعل الفعل أو المفعول إن تطلّب الأمر ذلك، مثل قولك: دخل خرج نام أكل... الخ، ولا أن تتركب بنية فيها الكثير من الأسماء دون أن تسند إليها خبرا أو فعلا مثل قولك: محمد على شجرة برتقال فأر... إلى ما لا نهاية، كما أنك لا تستطيع ضم أحرف المعاني إلى بعضها إلى غير نهاية مثل قولك: في إلى حتى على... الخ. هذا باختصار ما يمكن قوله عن التواصل الكلامي لأننا نكتسبه صباح مساء، ونتعلمه إن رغبتنا -كلما أمكن ذلك- حينما نأخذ اللغات الغريبة عنا.

2-التواصل غير الكلامي:

إن المكونات الكلامية وغير الكلامية للملفوظ تتكامل بدل أن تتعارض، فتواصلنا غير الكلامي يعتبر قديما قدم التواصل الكلامي في كثير من اللغات، ويسمى عند اللسانيين بالعناصر المساعدة للكلام *Les éléments paralinguistiques*.

إنه بحق جزء جوهري في السلوك اللغوي حيث -كما قال أبر كرومي- «نتكلم بجهازنا الصوتي لكننا نتحاور بجسدنا كله، فظواهر مساعدات الكلام تظهر بموازاة مع اللغة المنطوقة وتندمج معها ويؤلفان سويا نسقا متكاملًا للتواصل، ودراسة سلوك مساعدات الكلام يشكل جزءا من دراسة التحاور فلا يمكن أبدا أن نفهم استخدام اللغة المنطوقة في التحاور إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار مساعدات الكلام»¹.

وقد أوضح عالم اللغة "ليتر Lyons" أننا أثناء التحاور الذي يكون وجهًا لوجه يحتاج المتكلم دائما للفعل العائد أو الاستجابة من المستمع، وذلك كي يطمئن المتكلم على أن المستمع يتبع قوله أو يتفق معه فيما يقوله، وهكذا دواليك نلاحظ أن المستمع يهز رأسه موافقا أو معارضا أو متذمرا أو متأفقا كما أن حركات العينين والحاجبين تشكل جميعا جزءا من الإستجابة. إننا لا نقول أن الأمر يقتصر على المستمع فقط بل إنه صادر من المتكلم أيضا، فلا يستغني أحدهما عن استعمال مساعدات الكلام التي صنفت عند

¹ -Jacques Corrage : La communication non verbale p : 77 .

بعض علماء التواصل بأنها أنظمة فرعية، وقال آخرون بأنها أنظمة علامات سيميولوجية قائمة بذاتها وسندرسها كما يلي:

-التطريز La prosodie:

كان التطريز قديما هو دراسة القواعد التي تنتسب إلى التغيرات الكمية في النطق (الإنجاز والإطباب) والكثافة (صوت غليظ أو رقيق) في القوة، منبور أو غير منبور، وهذا حسب "ليونيل بلنجر"¹.

والتطريز عند ليونيل بلنجر هو التنغيم l'intonation لكن الاصطلاحات تختلف من دارس إلى آخر، فقد سعى الدكتور الحمو La prosodie بالعروض².

لكن –وخشية الالتباس والإبهام الذي قد يثيره هذا المصطلح من شحنة دلالية قديمة- وهي: "العروض في الشعر" أثرنا أن نسمي هذا الصنف من التلوين في النطق بالتطريز. ويحدد "أندري مارتيني" هذا الجانب الفعال من أفعال الكلام بقوله: "إن الطبيعة الفيزيائية للظواهر التطريزية تضم تحتها جميع الظواهر التي لا تدخل في إطار التحليل الصوتي –أي التي لا تخضع بشكل أو بآخر إلى التقطيع الثنائي- ومن الوجهة الفيزيائية نعني بها بشكل عام تلك الظواهر الصوتية التي توجد بالضرورة في جميع أشكال الكلام المنطوق، وسواء تكلم المرء بشدة ملحوظة أو ضعيفة، فإن هذه الظواهر موجودة بدرجة تزيد أو تنقص، وحالما يصبح الصوت مسموعا يكون الاهتزازات الأوتار الصوتية –بالضرورة-ذبذبة معينة، وهناك خاصية أخرى يمكن الاستفادة منها تطريزيا هي المد La durée مع العلم أنها تشكل جانبا فيزيائيا من جوانب الكلام المنطوق وهو جانب الكلام المنطوق وهو جانب لا يمكن تجاهله لأن الأقوال تتوالى عبر الزمن، وبما أن الأمر على هذا الحال يصبح مفهوما لدينا أن هذه الظواهر لا تؤدي دورها لغويا من خلال وجودها أو عدمه عند نقطة معينة من الكلام، بل من خلال أشكال ظهورها، وهي أشكال تختلف من جزء إلى جزء آخر من أجزاء الكلام، ونتيجة لذلك كانت هذه الظواهر أقل ملاءمة لوصف الوحدات المقطعة من الظواهر الأخرى (كالغنة أو الانسداد الشفاهي) التي قد تظهر أو تختفي في قول من الأقوال.

إن جملة "ضع القدر على الطاولة" ليس فيها غنة ولا انسداد شفهي، ومع ذلك لا يستطيع المرء إصدار مثل هذا الأمر دون أن يستخدم عن قصد أو دون قصد عنصر المد من

¹ -Lionel Bellenger : 1984 , «L'expression orale» p :46

²-عند ترجمته لكتاب مارتيني، "مبادئ اللسانيات العامة".

جانِب آخر، علما بأن هذين العنصرين الأخيرين يتغيران من بداية القول إلى نهايته، ومع ذلك تشكل النغمات - كما هو معلوم وهي ظواهر تطريزية لأنها لا تخضع للتقطيع الصوتي- وحدات مقطعة شأنها في ذلك شأن الوحدات الصوتية.¹ إن جملة مثل "صل على النبي" (في الدراجة) تعني الصلاة على النبي فعلا في نغمة، وتعني كذلك الانتهاء من فعل شيء ما بنغمة أخرى، لكن اللفظ يبقى نفس اللفظ. وعليه يقصد بالتطريز في المعنى الشائع أن الأمر يعني -على الخصوص- اعتقادًا ما تقول، لكي يكون للتغنيم حظ من الصحة، ويمكننا أن نقول: صباح الخير بطرق عدة بموضوعية، بسخرية، باحترام... الخ.

ويبقى التطريز أو الصفات التطريزية من المجالات التي لا يهتم بها المتخصصون كثيرا، بحيث يظل مجال المتخصص الماهر في اللغة ذي الحظ الوافر في ثقافة اللغة التي يحلمها. ولقد جعل أندري مارتيني للتطريز دورا هامشيا حين قال: "لكنها تظل ظواهر هامشية لأن أي قول من الأقوال لا يكون لغويا إلا بقدر خضوعه للتقطيع الثنائي".² في حين أن التداولين أولوها عناية خاصة، وأدركوا أن لها مكانة في تحليل الرسالة وألفاظها ومحتوياتها، ومن ذلك قول "أوستين" في الفصل الذي خصه للتطريز سماه بالتشديد على الصوت وإيقاعه وتغنيمه بإمالتة وغير ذلك من فنون القراءة: "ونظير هذا ما تتوفر فيه من وسائل جد معقدة وما يستخدم في السينما والمسرح من إعطاء توجيهات إلى الممثلين لتحسين أصواتهم وحركاتهم وأوضاعهم وضبط انفعالهم كتعليمهم كيفية النطق بالتهديد، وقس على ذلك".³

ويضرب لنا أوستين مثلا على ذلك يبين فيه ما يحدثه التغيير والتلوين الصوتي على مستوى الدلالة في التواصل الشفاهي، كما يبين الصعوبة التي تواجهنا ونحن نحاول إثبات هذا التلوين على مستوى التواصل المكتوب قائلا:

سيهاجم: إنذار

سيهاجم؟ سؤال

سيهاجم! احتجاج

¹ - أندري مارتيني: مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة د. الحمو 1985 دمشق ص76.

² - نفسه ص96.

³ - J. I Austin : quand dire c'est faire p:94

وإخراج هيئات الكلام هذا المخرج في لغة التخاطب الشفاهي يتعذر نقلها بأسلوب التخاطب المكتوب، فمثلا حينما أردنا الاحتجاج حاولنا أن ننقل إيقاع الصوت، وتنغيمه والتشديد عليه باستعمال علامة التعجب والاستفهام معا (إلا أن هذه الطريقة سخيفة لا تنفع في شيء)، ثم إن علامات الترقيم وطريقة كتابة الحروف الأولى من الكلمات بتطويلها وترتيب الألفاظ، لا يمكن أن يكون ذلك كله عوناً لنا في شيء، ولا يفني بغرضنا¹. على أن أندري مارتيني يعود فيقول تارة أخرى أن لهذه الظواهر أهميتها عندما تحدث عن التنغيم قائلا: "وهكذا لا يستطيع المرء أن ينكر على التنغيم كل قيمة لغوية"².

ويرى "جون دوبو" أن التطريز دراسة للخصائص الصوتية التي تؤثر في متاليات مختلف اللغات التي تنتسب في حدودها إلى تقطيع السلسلة الكلامية إلى فونيمات سواء أكانت دنيا كالمورس أم عليا كالمقطع أم مختلف أجزاء الكلمة أو الجملة.

التطريز - إذن- جزء من الفنولوجيا في حين أن بعض اللسانيين وعلى الخصوص أصحاب المدرسة الإنجليزية وكذا الأمريكية يرون أنه من الأجدر لأن يتضمن التطريز بعض الملامح التي تنتسب إلى الفونوماتيك La phonomatique (وهي حسب الإصلاح الشائع في أوروبا جزء من الفنولوجيا يدرس الفونيمات على الخصوص، أي أصغر الوحدات التمييزية)³.

التواصل المرئي:

التواصل المرئي الخاضع لحاسة البصر والمتعلق بالكتابة، فما هي الكتابة؟ إن الكتابة واحدة من بين الأنظمة السيميولوجية المتداولة التي تخدم التواصل بين البشر.

وتعتبر من أهم الإنجازات التي حققتها البشرية خلال تاريخها الطويل، وقد تغلب بها الإنسان على عائق البعد المكاني والزمني لما كانت رغبته في التواصل جامعة مع بني جنسه. ولهذا كانت الرسائل والشواهد التي خطت فوقها أنباء الانتصارات أقدم أنواع الكتابة، لكن الكلام كان أبقي منها، ولجأ الإنسان إلى إعطاء الأشياء والمظاهر المختلفة معان رمزية معنوية قريبة جدا مما نسميه حاليا بالكتابة، وقد بدأت هذه المرحلة بملاحظة الإنسان للطبيعة، ولعل أول الملاحظات كانت بسيطة وساذجة، فالأغصان

¹ - أندري مارتيني: المرجع نفسه ص 94-95.

² - مبادئ اللسانيات العامة ص 77 المرجع نفسه.

³ - J. Dubois, Dictionnaire de linguistique, p : 389

المتكسرة في الغابة دليل على مرور شخص أو أشخاص من فوقها، كما أن وجود بقايا الرماد دليل على أن قوما حلوا في ذلك المكان، وأثار الأقدام على الرمال ذات أهمية كبرى عند ساكني الصحاري، والآثار التي تترك على الثلوج ذات أهمية أيضا عند الإسكيمو، إذن لقد تعلم الإنسان القراءة قبل تعلم الكتابة.

وبعد الملاحظة عاش الإنسان مرحلة ثانية من التطور إذ صار يصوغ هذه الآثار بطريقة اصطناعية فهو يحطم خلفه الأغصان في الغابة كي يعرف أصحابه بمروره، أو قد يمحو الآثار الدالة على سيره كي لا تنكشف طريقه: ثم انتقل إلى استعمال علامات ورموز غير موجودة في الطبيعة، فالهنود الحمر يثبتون في الأشجار سهاما تدل على اتجاه طريقهم أثناء الصيد، وكثيرا ما يستشهد علماء الكتابة بالقصة التي ذكرها "هيرودوت" في القرن الخامس قبل الميلاد على الرسالة التي بعثها الصقالبة قبل خوض القتال معهم، فقد كانت مؤلفة من ضفدعة وفأر وعصفور وخمسة سهام وكان مضمونها يعني: "إنكم -أيها الفرس- إذا لم تتمكنوا من القفز في المستنقعات كالضفادع أو الاختباء في الجحور كالفئران أو الطيران كالعصافير فستغدون طعما لسهامنا غدا تطأ أقدامكم أراضينا"¹. وكان الفن التصويري البدائي أول خطوة في طريق الكتابة الأولى لدى الإنسان وهي الكتابة التصويرية (البيكتوغرافية) وهي مرحلة محاكاة لصور الطبيعة حينما يريد الإنسان التواصل عن طريقها، وهي مرحلة وصل فيها البدائي إلى القدرة على التعبير بواسطة اللوحات لكن إنسان هذه المرحلة لم يستخدم بعد تلك الكتابة بمفهومها الدقيق، ولعل التطور الفكري للإنسان لم يكن بعد قد أوصله إلى مرحلة ذلك الاستخدام الذي يهدف إلى إيصال الأخبار للغائبين أو تدوينها للأجيال القادمة. وأدى التطور المجتمع، ومن ثم تطور التفكير واللغة أيضا إلى ضرورة وجود الرسائل المنتظمة القائمة على أسس مفهومة لدى المرسل والمستقبل.

وهكذا أخذت اللوحات البيكتوغرافية في التجزؤ إلى عناصر ورموز منفصلة ما لبث أن اكتسبت بفعل استخدامها المستمر، صبغة الثبات سواء من ناحية معناها أو من شكلها التصويري، وصار كل رمز منها يعني كلمة مفصلة، وعن ذلك ولادة شكل جديد من الكتابة سمي بالكتابة اللوغرافية من اليونانية Logos كلمة Grapho اكتب.

¹ -عماد حكيم: فقه اللغة وتاريخ الكتابة ص160-161.

«وغالب الظن عند المؤرخين للكتابة اللوغرافية أنها أخذت عن الكتابة المسماية وتلت هذه المرحلة مرحلة الكتابة المقطعية، فبعد أن تطورت احتياجات المجتمع بتزايد تطوره، اتجهت معظم كتابات العالم القديم (باستثناء الصين) نحو تلك الكتابة المتطورة المبسطة»¹ والكتابة المقطعية تعني أن الرمز فيها يشير إلى مقطع من كلمة وليس كلمة بطولها ويمكن تقسيم هذه المقاطع إلى:

مصوت + صامت

صامت + صامت

صامت + مصوت + صامت

وتمتاز هذه الكتابة أولاً بسهولة القراءة والاستعمال وذلك بسبب قلة رموزها إذا ما قورنت بالكتابة اللوغوغرافية، كما تمتاز ثانية بميزة خاصة حتى بالنسبة للكتابة الحرفية – اللفظية- الحديثة وهي سهولة التعلم لأن فصل المقطع من الكلمة أسهل من الناحية النفسية من فصل اللفظ ورغم ذلك تتراجع الكتابة المقطعية أمام الكتابة الأبجدية الحرفية، وقد تأخرت الكتابة الأبجدية في ظهورها من الكتابة المقطعية، وسبب ذلك أن الانتقال إلى الكتابة الحرفية الصوتية يفترض مرحلة من تحليل الكلام إلى أصوات.²

ولا شك أن ظهور هذه الكتابة كان ذا أثر عظيم لتطور الحضارة العالمية.

تميز الكتابة: أسباب سموها على الشكل المنطوق:

تشكل اللغة والكتابة نظامين من العلامات المتميزة. إن تمثيل الكلام هو العلة الوحيدة لوجود الكتابة، إن الكلمة المكتوبة لتمتج بالكلمة المنطوقة – التي هي صورتها- بشكل حميم حتى أنها تستلب منها الدور الرئيسي.

تذهلنا –أولاً- الصورة الخطية للكلمات كغرض مستمر ثابت، فهي أكثر قدرة من الصوت على تشكيل وحدة اللغة عبر الزمن ومهما يكن الرابط سطحياً في خلقه وحده اصطناعية فإنه أسهل من الرابط الطبيعي والحقيقي: إنه الصوت.

¹-نور الدين رايس: سر التواصل: التعبير الشفاهي والكتابي، المرجع نفسه، ص101.

²-المرجع نفسه، ص162.

– إن الانطباعات البصرية لدى معظم الأفراد هي أكثر دقة وديمومة من الانطباعات السمعية، ولهذا فإنهم يرتبطون بالانطباعات البصرية بشكل أفضل، والصورة الخطية تقضي إلى فرض نفسها على حساب الصوت.

– إن اللغة الأدبية تزيد للكتابة أهمية لا تستحقها إذ أن لها معجماتها وقواعدها كما أن التعلم لا يتم في المدرسة إلا بحسب الكتاب ونهجه، علاوة على ذلك يبدو أن الكتابة بمثابة قانون والحقيقة أنه قاعدة مكتوبة خاضعة لاستخدام صارم: إنه الرسم الخطي، وهذا ما يضيء على الكتابة أهمية أولية، إن الأمر ينتهي بنا لنسيان أننا نتعلم قبل تعلمنا الكتابة وبذلك تنقلب العلاقة الطبيعية رأساً على عقب.

– إذا ما حدث خلاف بين اللغة والرسم الخطي فإنه ليصعب دائماً على غير اللغوي أن يجزم في النقاش، وبما أنه لا يحق للغوي نفسه التدخل في الموضوع، فالشكل الكتابي يسمو بشكل شبه قدرتي، إذ أن كل حل يستند إليه هو –في الواقع- أكثر سهولة، ولذا فإن الكتابة تمنح نفسها قياساً على هذا المبدأ أهمية ربما لا حق لها بها –كما قال دوسسير¹.

مستويات لغوية:

من أجل أن نتواصل نتكلم نفس اللغة لكن هل هذه اللغة واحدة أم لغات (مثال العربية)؟

هل عربية الجزائري هي عربية السعودي؟

هل عربية الشرق الجزائري هي عربية الغرب الجزائري؟

ألم تتأثر عربييتهم بالمناخ بالسكنى...؟

هل عربية الطبيب هي عربية المريض؟

ألا تتحدد المراتب الاجتماعية وكذا الثقافات واللغات المنسوبة إليها؟

إن هذه الأسئلة –وغيرها- تؤدي إلى اعتبار وجود عدة مستويات لغوية، فالمفردات والتراكيب والنبرات تختلف بحسب هذه المستويات.

«قد نميز لغة الكتابة واللغة المنطوقة، وبداخل اللغة يقبل اللسانيون وجود لغة مشتركة –أي مجموعة من الكلمات والتعابير والتراكيب المعتادة والأكثر تداولاً – تلك

¹ - فردنا دوسونسير: محاضرات في الألسنية العامة ص 147.

اللغة البسيطة والصحيحة، وفوقها لغة راقية وتحتها لغة عائلية، فوقها أيضا لغة الخطابة وتحتها لغة هجينة أو شعبية وفي بعض الأحيان ساقطة مبتدلة»¹
إن هذا التمييز على ما يظهر غير قار لأنه يستند أساسا إلى معايير متغيرة متنافرة.
فحينما نقول لغة راقية ولغة شعبية فإن معيارنا اجتماعي، بينما نقول لغة خطابية ولغة هجينة فيكون المعيار آنذاك مقاميا. وقد يستعمل الفرد منا نفس المستويات لما يضطر لذلك، فقد خاطب بشار بن ورد مادحا جازته بقوله:

ربابة ربة البيت تصب *** الخل في الزيت
لها عشر دجاجات *** وديك حسن الصوت
الخ.....

ومدح أحد الشعراء، الخليفة قاتلا:

أنت شمس والملوك كواكب *** إذا طلعت لم يبد منهن كواكب
فخطاب الشارع ليس خطاب المنزل، لذلك نرى أن اللغة الراقية تبحث عن المفردات الصعبة المنال وعن التراكيب المنمقة مثل قول المتنبي:
أنام ملء جفوني عن شواردها *** ويسهر الخلق جراها ويختصم
والكلام الخطابي جملة ينتقى ويبحث عن أحسن وأجود ما في اللغة من تراكيب ومفردات مثل قول قس بن سعدة الإيادي:

"ليل داج ونهار ساج، وسماء ذات أبراج"

واللغات الهجينة والعائلية نسمع فيها عبارات صورية تمثيلية كما نلاحظ فيها تراكيب غير مألوفة ولحنا وتحريفا وتصحيفا للكلام نكره.

«... ولغة الكتابة عادة ما تكون مرموقة خلافا للغة المنطوقة الشفاهية ففي لغة الكتابة نقل المستويات، وتكون ذات علاقة بالشروط الاجتماعية الثقافية، واللغة الكتابية الهجينة أو الساقطة تشكل سلسلة من الأخطاء في التراكيب والإملاء بينما اللغة المكتوبة الراقية هي بمثابة لغة الأدباء»².

إن المفردات الخاصة ببعض الجهات وبعض الحرف وبعض العلوم والتقنيات تؤدي بنا إلى تحديد مستويات أخرى أيضا بحسب معايير مختلفة أيضا، وقد رأينا في تحديد المعايير السابقة أنها لم تكن مضبوطة، لكن الأساس فيها هو أن نعي بهذه المستويات في

¹-عبد الكريم غريب، المرجع نفسه، ص 97.

²-عماد حكيم: فقه اللغة وتاريخ الكتابة: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان 1982، ص 98-ليبيا.

حدود إنجاح فعل التواصل. ونتساءل كيف لمعلم أن يقيم درسه إذا لم يكن ينطق بكلام في مستوى وعي تلاميذه، ومن ناحية أخرى عليه أن يقودهم إلى استعمال اللغة المشتركة بالرجوع إلى لغة - شينا ما- فوق العادة غنية بمفرداتها وصحيحة في تراكيبها، ويرافق التواصل آنذاك تصويب للأخطاء وإغناء للرصيد اللغوي والمعرفي، لكن عمل المعلم هنا يتطلب وجود عرف لغوي بمعنى استحضار طريقة جميلة في النطق والكتابة تبعد الأخطاء والشوارد وعامي الكلام وأغلاطه... الخ»¹.

إذن هناك الكلام الحسن، والكلام القبيح مما يدعونا إلى تمييز مستويات عامية ومستويات راقية في الكلام خلافا لما هو موجود في المستوى العائلي، لأن هذا المستوى - على ما يظهر- أنه ذو صواب شينا ما وأن فيه شينا من المرونة اللغوية خلافا للمستوى الراقى.

إن التواصل الشفاهي ينقسم إلى عدة مستويات ومثالنا على ذلك من "اللغة العربية"، فهي تنقسم بحسب اللهجات، ولكل بلد لهجته، ولينبني ذلك أساسا على المعطيات اللغوية لكل بلد، وبحسب ما طرأ عليها من تطور كما يلي:

-المعطيات اللغوية: الفئات اللغوية الأصيلة في البلد إضافة إلى الفئات المهاجرة من الجزيرة العربية، إضافة لتأثير الجوار.

-التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي المؤثر في الجانب اللغوي.

وتبعاً للمعطيات السابقة اختيرت اللغة المشتركة آنذاك بين القبائل ورجحت كفة الحجازيين الناطقين بها، واتخذت العربية المشتركة آنذاك لغة معيارية، لكن هل كانت تنطق بها كل الأمم الداخلة في الإسلام؟

لاشك أن الأمم الداخلة في الإسلام -بعد طول احتكاكها باللغة العربية وعلى اعتبار أن كل مغلوب تابع لغالبه- سرى فيها فعل محاكاة العرب في نطقهم، وجرى كلامهم على ألسنتهم بعد طول محاكاة وتأثر وتأثير إضافة إلى العوامل الداخلية المؤثرة في لغتهم، مما نتج عنه مزيج من اللغات مع طغيان اللغة العربية، التي كانت هي لغة الحكم والعقيدة والقرآن.

ونتيجة لذلك نشأت اللهجات مما ترتب عنه ظهور ازدواجية بل ثلاثية اللغة في بعض الأحيان في بلد واحد.

¹- نور الدين رايس: سر التواصل: التعبير الشفاهي والكتابي المرجع نفسه ص98.

وبقيت اللغة العربية لغة الكتابة المعيارية، ولهجة أهل البلد صارت اللغة المشتركة بين سائر أطراف المجتمع في أي بلد من البلدان العربية حاليا وحتى في شبه الجزيرة العربية. مما أفرز لنا علاقة جديدة في علاقة الفصحى بالمكتوب، وعلاقة المكتوب بالمقروء الذي نسير به دواليب الحكم وتمارس به الشعائر الدينية. ونجم عن ذلك ظهور فئات اجتماعية في أوساط اللهجة المشتركة، وحاليا نلاحظ مستويات في هذه اللهجة:

- اللهجة الراقية شيئا ما من اللغة العربية المعاصرة.

- اللهجة الشعبية.

- اللهجة العامية.

بعض النماذج التواصلية:

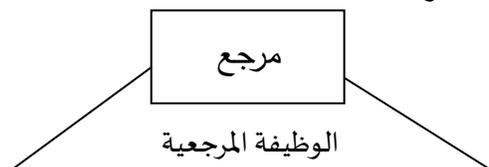
تتوزع النماذج التواصلية كلاسيكيا تبعا لثلاثة أنواع هي: النماذج الأساس، ونماذج التأثير، ونماذج التأثير على المدى الطويل، وقد برزت هذه النماذج وتطورت منذ سنة 1948 إلى سنة 1959، منها:

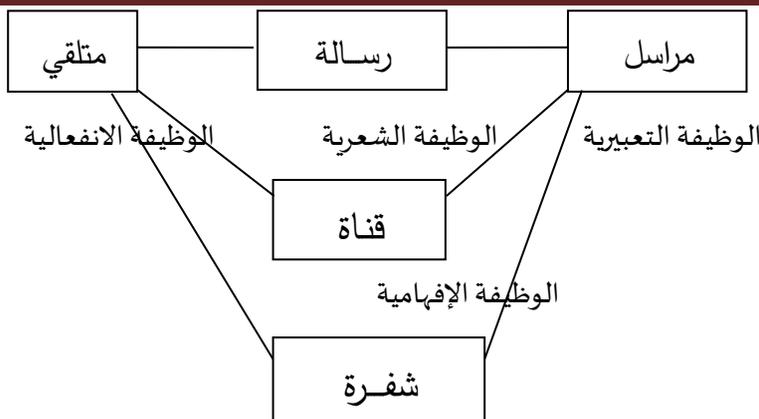
- نموذج لاسويل 1948.

- نموذج شانون وويفر 1949.

- نموذج رومان جاكبسون.

النموذج الثالث: قدّمه الباحث اللساني: "رومان جاكبسون" R. JAKOBSON مركزا بالأساس على وظائف التواصل¹.





الوظيفة الميتالغوية:

ينتهي هذا النموذج إلى حقل اللسانيات، ذلك أنه يعطي أهمية لطبيعة الرسالة في حدّ ذاتها وهو بالتالي يفيدنا في تحليل نوع الخطاب الذي يمكن أن يوجهه الأستاذ إلى المتعلمين من خلال الوظائف الأساسية لهذا الخطاب وهي:¹

-الوظيفة المرجعية *Référentielle*: يركز الأستاذ على هذه الوظيفة عندما يكن الهدف من التواصل هو الإخبار عن أشياء خارجة عن أنا المرسل أو المتلقي، فالرسالة هنا تحال على المرجع الخارجي كأن نقول: الأرض كروية الشكل.

-الوظيفة التعبيرية *Expressive*: تكون الوظيفة التواصلية تعبيرية عندما تعبر الرسالة أو تظهر من خلال ما يقال أو ميولا، إنها لا تخبر عن أشياء بل من خلال الإخبار تترجم موقفا كأن نقول: محمد تلميذ مجتهد.

-الوظيفة الانفعالية *Emotionnelle*: إن الهدف هنا من الإرسال هو التأثير على المواقف أو أفكار أو سلوكيات المتلقي فالخطاب موجه أساسا لإثارته كأن نقول: هذا الدرس مهم في الاختبار.

-الوظيفة الشعرية: إن الهدف من عملية التواصل في الوظيفة الشعرية هو الرسالة ذاتها من حيث مضمونها أو شكلها الجمالي فالأستاذ هنا لا يقصد الإخبار أو التأثير والتعبير بقدر ما يقصد إظهار سمات جمالية في الخطاب كتحليل الصور الشعرية في النصوص الأدبية.

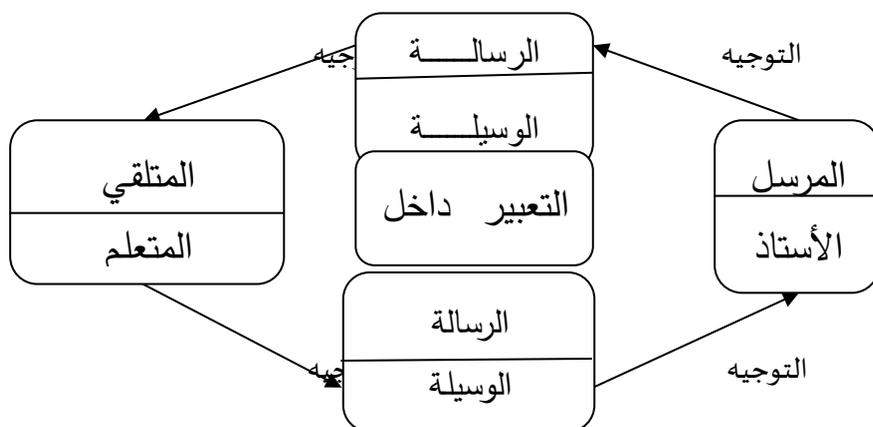
¹-Roman Jackbson, Essais de linguistique générale Ed. De minuit, p220.

-الوظيفة الإفهامية Phatique: تكون الوظيفة إفهامية عندما يكون الهدف من الرسالة هو تنبيه المتلقي لضمان استمرار الاستقبال وتعزيز التواصل، وتستعمل غالبا من قبل الأساتذة مثل: "انظروا هل فهمتمهم؟" "مفهوم، انتموها... الخ.

-الوظيفة الميتالغوية Métalinguistique: تتمثل هذه الوظيفة في كنه التواصل يركز بالأساس على توضيح عناصر الشفرة المستعملة، وهي وظيفة أساسية في التعليم كشرح: قواعد اللغة، أو مبادئ رياضية أو مصطلحات تخص ميدان معين... الخ.

الفعل التواصل يبين المرسل /الأستاذ والمتلقي/ المتعلم

شكل رقم 14



يوضح هذا الرسم المبسط طبيعة الإرسال والعلاقات مع المرسل وشكل الرسالة، ومحتواها، في تحديد نوعية ردود الفعل، وتحديد العلاقة بين المرسل /الأستاذ، والمتلقي/ التلميذ أثناء الفعل التواصل البيداغوجي.

ولكي تكون الصورة أكثر وضوحا في ذهن القارئ يمكن تحليله من متغيرات التواصل الآتية: المرسل، والرسالة، والوسيلة، والمستقبل.

أولا: المرسل: يقوم المرسل* /الأستاذ: بعملية تنشيط فعل التواصل، إذ ينشط سيرورة التعليم والتعلم وينظمها داخل القسم باعتباره الوسيط بين المتعلمين والمعرفة، كما

¹-أحمد عصام الصفدي، تكنولوجيا التعليم والإعلام، مكتبة الفلاح، الكويت 1989، ط2، ص20

*-المرسل: قد يكون المرسل شخصا يكتب، أو يتكلم، أو يعبر بحركات جسمية، كما قد يكون هيئة أو منظمة كالصحافة أو هيئة الإذاعة والتلفزيون..... الخ

يقوم بعملية الصياغة التي تهدف إلى تحويل ما لديه من معلومات وخبرات ومهاراتي إلى رسالة يوجهها إلى المستقبل أو المتلقي.

ولكي يكون الاتصال ناجحاً - كما يرى بعض المتخصصين - يشترط في المرسل/ الأستاذ، أن يكون على دراية كافية بالمقاييس التالية: «المعرفة الجيدة، والتمكن من مهارات الاتصال، وتحديد الاتجاهات»**

1- على مستوى المعرفة:

فكلما كان المرسل/ الأستاذ على معرفة جيدة بمحتوى الرسالة التي يريد تبليغها للمتلقي، كلما كان تأثيره أكبر وينجح إلى حد كبير في القيام بعملية الاتصال.

أما إذا لم يكن ملماً بالرسالة المراد تبليغها فإنه غالباً ما يحدث الفشل في الاتصال السليم، وقد تنجم عن ذلك أمور عديدة تعيق الاتصال بين الأطراف المتواصلة، والتي منها عدم الثقة بالمرسل/ الأستاذ من قبل المتلقي/ التلميذ.

ولعل المدرس الضعيف المادة العلمية خير مثال للاتصال الضعيف في الاتصال بالمتلقي/ التلميذ.

2- على مستوى مهارات الاتصال: وهي خمس مهارات أساسية للاتصال اثنان بالنسبة للمرسل/ الأستاذ تتصلان بعملية الإرسال كالكتابة بخط واضح، والتكلم بصوت مسموع مؤثر. وكذا التنوع في الرسالة المراد تبليغها إلى أذهان المتعلمين كالقدرة على مهارة التلخيص، والتوسيع، وكتابة الرسائل والتقارير، والقصة، والمسرحية، والقدرة على الربط والشمول.

3- على مستوى الاتجاهات: يؤثر اتجاه المرسل على اتصاله من حيث نجاحه أو فشله، إذ من الواجب تحديد ما إذا كانت اتجاهات المرسل سلبية أم إيجابية نحو نفسه، أو نحو الرسالة، أو نحو المتلقي.

أ- الاتجاه نحو النفس: هو ثقته بنفسه على قدرة التأثير في المتلقي، وهذه الثقة أو عدمها كثيراً ما تجعل الرسالة إما واضحة وقوية أو مهزوزة.

ب- الاتجاه نحو الرسالة: هو مقدار إقناع المرسل/ الأستاذ بموضوع رسالته وإيمانه بخلاف التظاهر أو التصنع في الموضوع.

** أحمد عصام الصفدي، محمد رضا البغدادي، تكنولوجيا التعليم والإعلام، مكتبة الفلاح، الكويت س. 1989،

ج-الاتجاه نحو المتلقي/ التلميذ: هو ثقة المتلقي، أو المتلقين باهتمام المرسل/ بهم وإحساسهم بتحمسه كثيرا في إقناعهم بما قدم ويقدم لهم.
ثانيا: الرسالة¹:

هي عبارة عن ترجمة للمعاني والأفكار والاتجاهات التي لدى المرسل، تجاه المتلقي في شكل رموز تتركب مع بعضها بأسلوب معين.

«تكون فيه قناة تعزيز التواصل إما لفظية لغوية على شكل كتابة الكلمات والتراكيب، أو غير لفظية على شكل حركات في اليدين، أو تعبيرات في الوجه، أو أي إشارات أخرى يمكن ترجمتها إلى معان تتبادلها الأطراف المتواصلة.»²

هذه الرسالة يمكن أن نحددها من خلال ثلاثة أبعاد أساسية وهي:³

شفرة الرسالة - شكل الرسالة - محتوى الرسالة

أ-شفرة الرسالة: Le code: هي مجموعة من الرموز التي يمكن تركيبها بطريقة تمكن الغير من فهم معانيها بحيث تكون متضمنة للقواعد التي من خلالها يتاح تنسيق الوحدات فيما بينها.

من هنا يكون كل نسق من العلامات اللفظية وغير اللفظية خاضع لقواعد تشكل الشفرة. ففي المجال اللفظي اللغوي -مثلا يمكن أن نستعمل شفرة الكلمات والتراكيب، بينما في المجال الحركي Geste هناك نسق من حركات الجسم والأعضاء يشكل بدوره نظاما تواصليا -مثل لغة الصم والبكم- من هذا المنطلق يمكن للمتكلم أن يختار من بين اللغة -بتعبير سوسور- ما يلائم وضعية تواصلية ما.

ب-شكل الرسالة: إذا كانت للرسالة قواعد ضابطة (شفرة) فإنها في الوقت نفسه تمثل أشكالاً تنسجم ووضعية الإرسال، في التواصل البيداغوجي بين المعلم والمتعلم بحيث تتخذ -الرسالة- أشكالاً متميزة يمكن أن نوضحها أكثر بالمقارنة التالية:

«في التواصل التلغرافي يكون شكل الرسالة بسيطا ومباشرا ومختزلا وفق ما تعرضه طبيعة القناة التواصلية، وهو تصريحي بنسبة كبيرة لأنه غالبا ما يقصد به الإخبار.»⁴

¹-المرجع نفسه الصفحة نفسها

²-د.أحمد عصام الصفدي، تكنولوجيا التعليم والإعلام، مكتبة الفلاح، الكويت 1989، ط2، ص30

³-عبد اللطيف الفاربي، المدرس والتلاميذ أية علاقة، دار الخطابي للطباعة والنشر، الرباط، سنة 1990، ط2، ص65

⁴-أحمد عصام الصفدي ورضا البغدادي: تكنولوجيا التعليم والإعلام ص78.

وفي التواصل البيداغوجي يكون شكل الرسالة تصريحا إخباريا أيضا إلا أنه يتضمن إفصاحا عن مواقف وانفعالات، كما يكون معززا بالقناة البصرية (حركات، وإيماءات). والمتلقي في هذه الحالة لا يستقبل كل كثافة الرسالة، بقدر ما يعزل وينتقي الجمل ليؤول مدلولها يقوم بردود الفعل.

وفي هذا المجال يمكن تشبيه كل من المدرس والتلميذ بشخصين يلعبان، لعبة الورق "Jeu de carte" فحين يكشف الطرف الأول عن أوراقه أو عن جزء منها أثناء اللعب، فإن الطرف الثاني لا يكتفي بتلقي معرفة نوعية الأوراق وترتيبها بل إنه من خلال تأويله للمعطيات يغير من طريقة لعبة.

وكما أن للعبة الورق قواعد يلتزم بها الطرفان فإن للتواصل البيداغوجي أيضا شروطا ومبادئ، ذلك أن حالة الغموض والإبهام ينبغي أن تكون منعقدة أو نادرة في حين ينبغي ألا تكون المعلومات متقلصة - قليلة- أو فائضة - كثيرة- بل تناسب سياق وزمان التواصل، مثلما تناسب قدرات التلاميذ على التلقي.

ج- محتوى الرسالة: نقصد بمحتوى الرسالة مضمون الخطاب التعليمي إذ يتخذ - الخطاب- بعدين أساسيين:

-بعد مؤسسي: وهو جملة المعايير "Normes" الضابطة للكلام داخل القسم، إنه تحديد لما ينبغي أن يقال وغالبا ما تمثل المقررات والتوجهات الرسمية حدودا بين المسموح به والمحظور.

-بعد ذاتي: وهو أسلوب المدرس في التعامل مع هذا المحتوى "Style" إذ أنه يطبعه بشخصيته من خلال أبعادها النفسية والثقافية والاجتماعية.

وإذا كان المنطق يفرض أن يكون هناك تلاؤم بين البعد المؤسسي والذاتي على مستوى المضمون المبلغ للتلميذ، محتوى وشكلا، فإن حالات الارتياح بين البعدين تحدث أحيانا أو غالبا وهي مؤشر هام عن الفارق بين ما يريده المدرس أو التلميذ وما يريده المقرر.
ثالثا: الوسيلة:

وهي الوسيط الذي يحمل الرسالة كي تصل إلى المستقبل/ التلميذ فتخاطب حواسه، وتحدث فيه أثرا وقد تحمل -أي الرسالة- على مصور أو ملصق إعلامي، أو شريط سينمائي، أو على أمواج الأثير، أو في كتاب، أو صفحة..... أو غير ذلك من وسائل الاتصال الأخرى.¹
والوسيلة في هذا المجال يمكن أن ترتبط بكلا النوعين:

¹-أحمد عصام الصفدي، تكنولوجيا التعليم والإعلام، ص20

نوع حامل الرسالة، ونوع الحاسة أو الحواس التي يثيرها هذا الحامل، وهذا ما يجعل البعض يسميها بالوسائل (المعنيات) السمعية والبصرية على أساس أن حاستي السمع والبصر من باقي الحواس استخداما، بينما يسميها البعض الآخر بالوسائل الحسية على أساس أنها تخاطب كل الحواس.

رابعاً: المستقبل/ المتلقي

يعتبر المستقبل / المتلقي هو الهدف من عملية الاتصال الذي توجه إليه الرسالة. فمن يعلم إنما يعلم ليتعلم عليه آخرون، ومن يكتب إنما يكتب ليقرأ له آخرون، ومن يذيع إنما يذيع ليستمع إليه آخرون.

وإذا ما توقفت الأمور عند مجرد المرسل، والرسالة، والوسيلة فإنه لن تكون هناك عملية اتصال من أي نوع «هذا ويقوم المتلقي بعد أن يكون قد استمع للخطاب الموجه إليه بعملية فك رموز الرسالة أي نظام العلاقات المكونة للرسالة باعتبار أن كل خطاب يحيل على مرجع (أشياء، ووضعيات) لا بد من إشراك المتواصلين في امتلاكه.

وبما أن عملية التلقي في التواصل البيداغوجي ليست استهلاكية سلبية تقتصر على الاستقبال فقط بل يقوم المتلقي بدوره فعل ظاهرة أو خفية (لفظية أو غير لفظية، إيجابية أو سلبية تجاه ما يتلقاه، لذلك فإن طبيعة الإرسال والعلاقات مع المرسل وشكل الرسالة، ومحتواها وعناصر الشفرة هي مكونات أساسية في تحديد نوعية ردود الفعل هذه». ، إذ يقوم -المتلقي- بردود بعملية عقلية كالتالي قام بها المرسل عند صياغته للرسالة ولكن في اتجاه عكسي ليرد على الرسالة برسالة أخرى هي المرجع حيث يقوم بعملية صياغة إذ يتحول من متلقي إلى مرسل، وهنا تتجه الرسالة إلى المرسل الأول -الأستاذ- الذي يتحول بدوره إلى مستقبل يفك رموز الرسالة لمعرفة مدى نجاحه في تحقيق هدفه.

وفي ضوء ما يلاحظه يستطيع أن يعدل صياغة الرسالة وفقاً لمقتضيات الموقف.